البر والبحر سمي بحرا لاتساعه وعمقه لم تعيه من اعيي فلان في
مشيه اي تعب او وقف الاعباء جمع عبئ بكسر اوله وبا لموحدة
والهمز وهو الحمل والثقل من اي شئ كان اي لم يكدر بحر علمه شئ
ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعباء للكدورة للشبهة
والاعباء للشبه والجهالات واذا تاملت ما تقدم من اوصاف كماله
الباهرة وعصمته وتراهته الظاهرة وانه البحر الذي اندرجت
البحار كلها في همته والحليم الكريم الذي دخل كل كريم وحليم تحت
خيبطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن التلفت
لما سوى الله تعالى مستقل اي محتقر دنياك اي الاموال التي هي
من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السما والارض ان ينسب الامساك
منها اليه وان ينسب اليه ايضا الاعطاء منها لانها لغنائها وكثرة
الاشتغال بها عن المعالي حقيقة بمريد الاعراض عنها وعدم الالتفات
الى امساكها واخراجها ولو لمستحقها احتقار الشانها وتقليلا للامة
عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها اشد الاعراض
خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ان يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا
التفضيل الاستدلال بخطابه تعالى والاطلاع على الاشيا جملة وتفصيلا
وروى الطبراني باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على
الصفا فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من
دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من

التما

السما فقرعته فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل امر الله القيامة ان تقوم قال لا
ولكن امر اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله
سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك
ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا او ذهبا وفضة فعلت
فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع
فقال بل نبيا عبدا ثلاثا فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه خزائن
الارض فاعرض عنها واباها مع انه لو اخذها لم ينفقها الا في طاعة الله
تعالى لكن اختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما اسناها
ونفس زاكية كريمة ما ابهاها وقد اشار الناظم الى ما هنا بقوله في بردة
المديح وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات الثلاثة ومعنى
البيت الثالث وكيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا
وزينتها وهي ما فيها انما خلقت لاجله كما صح في الخبر السابق تنبيه
قوله هنا مستقل الخ احسن من قوله ثم واكدت زهده فيها ضرورته
لان بعض العلما انكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد وبؤيده قول
محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد
فيها واذا انكر وصفه بالزهد فالضرورة من باب اولى وفي السيف المسلول
للتقي السبكي عن الشفا واقره ان فقهاء الاندلس افتوا بارافة دم من
وصفه صلى الله عليه وسلم بالفقر في اثنا مناظرته با يتيم ثم زعم ان ذلك
لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها وذكر البدر الزركشي عن بعض
الفقها المتاخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من
المال ولا حاله حاله فقير بل كان اغنى الناس بالله تعالى قد كفى امر دنياه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)